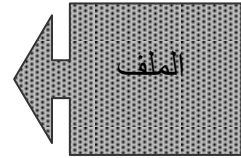


أ. عبد الله أحمد قصير
مدير عام قناة المنار

المنهج الإعلامي عند الشهيدين الأول والثاني (دراسة مقارنة مع مناهج اعلام اليوم)



لن نسهب في سرد سيرة الشهيدين الأول والثاني، وسنكتفي بان نشير إلى وجود 6 نقاط مشتركة بين الشهيدين تسمح بوضع البحث عنهما في سياق واحد:

- 1— عمرهما الشريف الذي لم يتجاوز الخمسة وخمسين عاما.
- 2— قضى كل منهما 20 عاما في الرحلات على امتداد بلدان العالم الإسلامي.
- 3— تشابه شهادتهما المباركة في الاسلوب من خلال تهمة ووشاية مذهبية.
- 4— تقاربهما في المشاريع الفكرية والفقهية والسياسية .

5- نشأتهما وبيئتهما العاملية (جبل عامل) .

6— يشتركان في المنهج التقريبي الانفتاحي والتبادلي مع المذاهب الإسلامية .
وسنقوم في بحثنا بتسليط الضوء من زاوية إعلامية على الشعارات والقيم والمواثيق التي تتبناها المؤسسات الإعلامية اليوم ، و اجراء عملية مقارنة للمنهج الذي تبناه الشهيدين في حركتيهما مع مناهج هذه المؤسسات الإعلامية ، مع ذكر الشواهد والقرائن لزوم مقتضى الحال .
أولاً : ماهية المنهج الإعلامي :

ان موضوعنا هذا يلزمنا بدايةً التعريف بمعنى واصطلاح المنهج الإعلامي ، فقد عرف المعجم العربي المنهج بانه " وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة " ووردت كلمة المنهج في القرآن الكريم في قوله تعالى " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا " (1) وقد فسرت بمعنى جعلنا لكم الطريق الواضح في السير والسلوك ، وعلى ضوءها يمكن تعريف المنهج الإعلامي بانه " الطريق الذي يوضح التوجهات والاهتمامات والاساليب والطرق التي تستخدمها

شخصية أو مؤسسة أو قناة إعلامية في سيرتها العلمية والفكرية وأصولها وقيمها العملية لا يصل و عرض رسائلها وافكارها أو لتسليط الضوء على قضايا ومساائل تؤمن بها، وذلك أمام الجمهور والناس اجمعين في سبيل تحقيق مجموعة من الاهداف وخدمة عدد من الغايات الفكرية والثقافية والسياسية " .

واكثر ما تتمظهر المناهج الإعلامية في مجموعة من المؤشرات والخصوصيات والبصمات، وتبرز أكثر تجلياتها في الشعارات والقيم والمواثيق التي ترفعها هذه المؤسسات الإعلامية بحيث تصبح بمثابة شعارها وهويتها الخاصة وبطاقتها الشخصية .

اما التكنولوجيا والوسائل والوسائط المعتمدة في اوصول الرسائل الإعلامية (اذاعة / تلفزيون / صحيفة / منشور / انترنت / هاتف) فليس لها دور كبير وحاسم في تحديد ماهية المنهج الإعلامي ورسم معالمه، لانها تنتمي إلى فئة الادوات والآلات الصناعية والحضارية المتغيرة بين عصر ومصر، في حين ان حديثنا يدور حول المنهج الإعلامي وبالتحديد الطريقة والاسلوب الخاص في

الاتصال والتواصل والتبادل المعرفي والثقافي مع الآخرين.

ثانياً : عرض وصفي لشعارات وقيم ومواثيق المؤسسات الإعلامية الراهنة :

وبالاطلالة على ارض الواقع لتلمس هذا التعريف وتطبيقه على عدد من المؤسسات والقنوات الإعلامية نجد ان كل قناة ومؤسسة تتبنى شعارات إعلامية خاصة⁽²⁾ بها وقيم وسلوكيات مهذبة تسير عليها، وتهدف من خلالها التعبير عن رؤيتها واهدافها ورسائلها :

- فشعار قناة الجزيرة مثلاً : الرأي والرأي الآخر / منبر من لا منبر له .
- وشعار قناة المنار : قناة العرب والمسلمين / قناة المقاومة والتحرير .
- وشعار قناة الرسالة : أصالة وابداع .
- وشعار قناة اقرأ : متعة الاعلام الهادف / نحو مجتمع إسلامي معاصر .
- وشعار قناة العربية : ان تعرف أكثر / تغطية مستمرة .
- وشعار جريدة السفير : صوت الذين لا صوت لهم .

- وشعار قناة BBC البريطانية : تمكين الناس من التعلم والترفيه .
- وكذلك الأمر بالنسبة إلى القيم المهنية الإعلامية التي تتبناها هذه المؤسسات، فمن خلال دراسة وثائق وموثيق هذه المؤسسات نجد ان هناك 9 قيم أساسية مشتركة بين هذه المؤسسات وغيرها من القنوات العالمية على مستوى أصولها العملية ومبادئها المهنية، وهي :
- (1) الصدق والمصداقية في نقل الأخبار وتوصيف الأحداث.
- (2) الجرأة في الموقف والتعبير.
- (3) الانصاف والتوازن في النظر إلى الآراء والافكار المتنوعة.
- (4) العمق والشمولية.
- (5) الدقة في المعلومات والتحقيقات.
- (6) الشفافية والوضوح.
- (7) البحث عن الحقيقة من مصادرها ومنابعها الاصلية.
- (8) الموضوعية والتجرد.
- (9) المواكبة والمتابعة الميدانية للتطورات والمتغيرات.
- و جاء في ميدثاق الشرف الإعلامي العربي⁽³⁾

الذي تبناه مجلس وزراء الاعلام العرب العام 2007 ما يتحدث عن موضوع التسامح وآداب الحوار وقد اقتبسنا من المواد ما يفيدنا في بحثنا، ومنها :

(1) المادة العاشرة " تعميق روح التسامح والتآخي ونبذ كل دعاوي التحيز والتعصب ايا كانت اشكاله " .

(2) المادة الثانية عشرة " مراعاة أصول الحوار وآدابه وخاصة الذي يعرض أو يذاع أو يبث، من حيث حقوق ضيوف الحوار في شرح آرائهم والمتلقين في التعقيب، وعرض كافة الآراء وصولاً إلى بلورة رؤية متكاملة وشاملة وموضوعية لدى المتلقي العربي" .

ثالثاً: مقارنة تطبيقية بين منهج الشهيدين وشعارات المؤسسات الإعلامية

:

وبغض النظر عن مستوى ونسبية الالتزام لدى هذه المؤسسات بالشعارات التي تطرحها إلا أننا لو نظرنا لهذه الشعارات والقيم والمواثيق التي تنادي بها كل القنوات والوسائل الإعلامية العربية والإسلامية البارزة وكذلك القنوات العالمية المشهورة، وحاولنا مقارنتها مع التراث الضخم الذي تركه الشهيدين الأول والثاني في سيرتهما

العلمية والعملية لثبت لدينا بما لا يقبل الشك انهما كانا من اعظم الشخصيات عملاً بالمنهجيات الإعلامية الحديثة، لا بل ندعي انهما سبقا عصريهما بقرون، ولهما الريادة والفرادة في الكثير من المبادئ والشعارات الإعلامية، فالعديد من المؤسسات الإعلامية التي ترفع شعارات ومواثيق وتتبنى قيم مهذبة براقعة لا ترتقي إلى مستواها عند التطبيق والعمل، ولا تستطيع الثبات والاستقامة على هذه المناهج (لعل المثل الفاقع هو في كيفية التعاطي مع الثورات العربية من قبل هذه الوسائل الإعلامية التي تعتمد سياسة الكيل بمكيالين) في حين ان الشهيدين من الذين استقاموا على الطريقة (كما يعبر القرآن الكريم) وهما بحق أسسا منهجاً إعلامياً ناجحاً وفعالاً جمع وصهر كل هذه الشعارات والقيم والمواثيق ولم شملها.

وعلى هذا الأساس فلو اردنا اجراء مقارنة بين منهج الشهيدين الأول والثاني ومناهج اعلام اليوم الذي تتبناه ارقى المؤسسات الإعلامية العربية والإسلامية والعالمية، ستؤدي حتماً إلى الاعتراف انهما الرائدان والسباقان رغم الفاصل الزمني الكبير.

أ - على مستوى الشعارات الإعلامية التي ترفعها هذه المؤسسات :

1) شعار الرأي والرأي الآخر :

لقد ذهب الشهيدان إلى مواقع واماكن الآخرين للدرس والمباحثة والحوار، ونقلوا تراث المذاهب المخالفة وعرفا بها وأخذوا منها وافتيا على ضوئها، ولا يمكن قياس ذهاب الشهيدين للآخرين على انه نوع من طلب العلم كسائر الطلاب والتلاميذ، لأن الشهيدين انتقلا من الحلة وحوزات العراق إلى مدارس ومشايخ أهل السنة فقيهين مجتهدين...
ثم أن الشهيدين أسسا عن إيمان واعتقاد راسخ مقولة " ان الفقيه لا يصبح فقيها حتى ينظر على قدر الاستطاعة ومع بذل الوسع والجهد في الاطلاع على كافة الآراء الفقهية محل البحث والاجتهاد سواء لدى علماء المذهب الإسلامي الشيعي أو عند علماء المذاهب الإسلامية السنية " وهذه المعادلة لها دخالة في تقييم صلاحية وأهلية الفقيه وليس مسألة ترف وفضول فقهي وثقافي، وعلى هذا الأساس بذلا السنوات من عمرهما الشريف يبحثنان ويقويان قريحتهما وذائقتهما الفقهية عبر الاحتكاك والتباحث مع الآخرين في اطار

منهجهما في التواصل والتبادل، وهذه المقولة تعد أغنى من مبدأ الرأي والرأي الآخر كما تطبقه اليوم بعض وسائل الإعلام كشعار للتسويق فقط.

وقد نقل صاحب الدر المنثور⁽⁴⁾ حواراً طويلاً جرى بين الشهيد الثاني والشيخ علي بن محمد، أبي الحسن البكري وكان من اعلم علماء مصر آنذاك وهو أستاذ الشهيد ما يؤكد إيمانهم الحقيقي بهذه المقولة التي ذهبنا إليها، حيث سأل الشهيد الثاني صاحبه البكري "ماذا عن العلماء الأعلام والفضلاء الكرام الذين جمد كل فريق منهم على مذهب من المذاهب الأربعة ولم يدر ما قيل فيما عدا هذا المذهب الذي اختاره، مع قدرته على الاطلاع والتفحص وإدراك المطالب، وقنع بالتقليد للسلف، وجزم بأنهم كفوه مؤنة ذلك، ومن المعلوم ان الحق من جهة واحدة، فان قالت احدى الفرق الحق إلى جانبنا، اعتماداً على فلان وفلان فكذلك الأخرى تقول، اعتماداً على محققهم، واعيان مشايخهم، لان ما من فرقة إلا ولها فضلاء ترجع اليهم وتقول عليهم؟ فالشافعية تقول الامام الشافعي وفلان وفلان كفونا ذلك، وكذا الحنفية والحنبلية والمالكية، وكذلك الشيعة يقولون كفانا

السيد المرتضى والشيخ الطوسي والخوارجا نصير الدين والشيخ جمال الدين عناء التفحص.. فكيف يكتفي مثل هؤلاء الفضلاء بالاختصار على احد هذه المذاهب، ولم يطلع على حقيقة الآخر، بل ولا وقف على مصنفات اهلها، ولا عرف أسماءها، فكون الحق مع الجميع لا يمكن، ومع البعض ترجيح بلا مرجح " ؟

فرد الشيخ البكري " اما العلماء فيكفي كون كل واحد منهم محقا بالظاهر".

فأجاب الشهيد الثاني جوابا حدد فيه هذه المقولة: " كيف يكفيهم مع ما ذكرنا من تقصيرهم في النظر وتحقيق الحال " ؟

وعلى هذا الاساس سافر الشهيد الثاني إلى عدة حواضر علمية تعتمد التدريس على مذاهب أهل السنة، نذكر منها انه قرأ صحيح مسلم والبخاري عند شمس الدين بن طولون الدمشقي، ودرس على 16 استاذا مصرياً بارزاً في علوم الفقه والمنطق والعربية والهندسة والفلك والتفسير.

(2) شعار منبر من لا منبر له وصوت الذين لا

صوت لهم :

فقد نقل عن السيد البروجردي ان الشهيدين كانا اثنتين من خمسة فقهاء شيعة

على طول التاريخ الفقهي الشيعي اجادوا واحاطوا علما وخبرا بسائر اجتهادات واستنباطات الفقهاء السني والشيعي معاً. وكنموذج على تبني شعار منبر من لا منبر له ننقل ما قاله ابن ابي جمهور في كتابه عوالي اللآلي من انه احصى 198 رواية رواها الشهيد الأول منها مائة رواية منقولة عن صحاح أهل السنة⁽⁵⁾... اي ما يقارب النصف. ولد شهيد الثاني ن ظائر وامثلة مشابهة لهذا المنهج، فقد اشترط على المجتهدين وعلماء الفقه الشيعة وجوب الالمام بأصول الفقه عند كافة المذاهب الإسلامية، كي يصح احتجاجهم واستدلالهم، ويصح تقليدهم، جاء ذلك في كتاب الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، واكثر من ذلك فقد حدد الشهيد الثاني مرجعين اعتبرهما كافيين لهذا الالمام وهو " كتاب تهذيب الأصول للعلامة الحلبي ومختصر الأصول لابن حاجب الحنبلي " ⁽⁶⁾.

ومن يطالع كتب الشهيدين يجدها زاخرة ومليئة بروايات وأحاديث منقولة عن صحاح ومراجع ومصادر لأهل السنة، كالبخاري ومسلم وكنز العمال والترمذي وابي داوود، والشافعي والزهري والرازي وغيرهم.

3) شعار حمل قضايا العرب والمسلمين

ومقاومة الظلم والطغيان :

فمن يضاهاى الشهيدىن اهتمامام بقضايا العرب والمسلمين، وقد جابا و جالا العالم الإسلامى فى سبيل النهضة والتقريب ومواجهة التحديات التى واجهها العالم الإسلامى وخاصة الصراعات الاقليمية ومواجهة ومقاومة الغزوات الخارجية للبلدان الإسلامىة، حتى رزقا ونالا الشهادة على ايدى السلاطين فى ساحات مقارعة الظلم والجهل والتعصب.

فالشهيد الأول أسس مرجعية علمية ودينية وسياسية امتدت إلى كافة قرى جبل عامل وبلاد الشام، وكان له مئات الوكلاء فى مختلف المناطق، وقد حارب البدع وخاصة فتنة اليالوشى (رجل من قرية برج يالوش قرب النبطية) وهو كان من تلامذته وخرج عليه مستعينا بالسحر والشعوذة والتدبىس على الناس، ويظهر انه بدأ متصوفا، وقيل انه ادعى النبوة، وقد حاول تثبيت زعامته مثيراً الخلاف المذهبى، واستطاع ان يجمع حوله الرجال والانصار، وقد وصل الأمر إلى حدوث معركة مسلحة سقط خلالها العديد من القتلى والشهداء بين الجانبين، سميت بمعركة " الشهداء " وقتل فيها اليالوشى ولكن دعوته

لم تنقض بل استمرت مع تلامذته بدعم من قضاة السلطة كتقي الدين الجبلي الخيامي ويونس بن يحيى اللذين وشيا بالشهيد لدى بيدر وجمعا ما يصل إلى سبعين شهادة زور ضد الشهيد الأول سلمت إلى قاضي دمشق والشام برهان الدين ابن جماعة الذي كان يكنى العداة والحسد للشهيد الأول أيضا لانه سبقه في المكانة العلمية والفكرية، فاجتمع الجهل والحسد ضده، وهناك تحقيقات تقول أن امر قتل الشهيد الأول دبر على اثر تفاهم بين بيدمر حاكم دمشق وبرقوق سلطان المماليك في مصر⁽⁷⁾، بعد امتداد زعامة ومرجعية الشهيد الأول ونظر السلطة المملوكية الطامحة اليها كتهديد لسلطانها .

ولشهيد الثاني قصة مشابهة في محاربة التعصب والظلم والجهل، حيث اقدم على مخاطرة وذهب بنفسه إلى الاستانة عاصمة السلطنة العثمانية مضحيا بمرجعيته وزعامته لاقناعها بمشروعه التقريبي والوحدوي وانتزع موافقتها على تدريس المذاهب الخمسة في المدرسة النورية، واختار بعديك مع ما في ذلك من مخاطرة أيضا بالنظر إلى قربها من

دمشق وكثرة الناس فيها على غير أهل مذهبه، وكان يستطيع السكن في إحدى قرى جبل عامل والركون إلى هذه المكانة، لو لم يكن صاحب مشروع جهادي وعلمي كبير وطموح، ولهذا حقد عليه بعض العلماء والأمراء ودبروا له الوشايات إلى ممثل هذه السلطة (رستم باشا) فقام بقتل الشهيد رحمه الله قتلة شنيعة.

(4) شعار بناء مجتمع إسلامي معاصر :

فقد عمل الشهيدان للتعرف على أبرز علوم وفنون ومعارف العصر وهذا ما تشهد عليه المصنفات والموسوعات الفقهية ذات البعد الشامل والتبويب الحي بأحدث فنون ذاك العصر كي تلبي حاجات المجتمع آنذاك، وتتصدى للهجمات السياسية والفكرية والثقافية الوافدة من طريق الغزوات الخارجية والتفاعلات الداخلية، فاشتملت اللمعة الدمشقية على عشرات الأبواب والعناوين الفقهية، لا تزال بأغلبيتها تفي بأغراض ومتطلبات مجتمع اليوم.

وفي الواقع فإن الشهيدين عاشا هم التصدي للتشريعات والفتاوى التي عصفت بالمجتمع الإسلامي على أثر الحملات المغولية والصليبية، فقد نقل المقرئ في خطه (8)

ان القائد المغولي جنكيز خان سن شريعة حقوقية وجنائية عرفت باسم " الياسا " نشرها وطبقها في البلاد الإسلامية التي خضعت له، و هي خليط من القوانين والتشريعات المتأثرة بأصول وتقاليد آسيوية ورومية تركية وما شاكل، كما ادخل المماليك عاداتهم وأهواءهم في الفقه الإسلامي تماشياً مع مصالح ممالكهم، كما انتشرت في تلك الأزمان حركات وبدع صوفية ودرويشية في بلاد الشام ومصر وخراسان، وأراد الشهيدان إصلاح هذه الحال عبر طرح مشاريع فقهية وعلمية شاملة وكاملة، ولعل سر اختلاطهم واحتكاكهم بعلماء مصر ودمشق والقدس واشتغالهم على تصنيف الموسوعات الفقهية يذبح من هذا الاحساس بالمسؤولية عن حفظ وصون الشريعة الإسلامية.. وما إرسال الشهيد الأول لكتاب اللمعة الدمشقية الذي يعد بمثابة الموسوعة الفقهية والتشريعية الكاملة والشاملة التي اعتمد عليها السلطان علي بن مؤيد حاكم خراسان إلا بناء على هذا الأساس. وما تصدي وقيام الشهيد الثاني بتدريس الفقه على المذاهب الخمسة إلا لحفظ الفقه الإسلامي بشقيه وقسميه السني والشيوعي من التخريب

والعبث والتلاعب السلطاني الذي قوي خلال تلك الفترة.

(5) شعار أصالة وابداع :

فمنهجها يقوم على هضم ومعرفة علوم السابقين والاطلاع على اوسع ما في علوم الحاضرين والابداع والتجديد لبناء مستقبل الاجيال القادمين، فالشهيد الأول هو أول من صنف في قواعد الاحكام من الفقهاء الشيعة (كتاب القواعد والفوائد) وأول من أشاد نظرية ولاية الفقيه العامة وأسس مبانيها الفقهية ومارس العمل على ضوئها فعليا.. هذه النظرية التي تطورت مع الفقهاء اللاحقين ووصلت مع الامام الخميني (رض) إلى عصرها الذهبي مع تأسيس نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية على هديها.

كما ان الشهيد الثاني هو أول من صنف كتاب في علم دراية الحديث، ولم يكن عند الشيعة تصنيفات في هذا العلم بالمعنى المنهجي والتخصصي الشامل، كما صنف كتابا مستقلاً متخصصاً في علم التربية والأخلاق التعليمية (مزية المرید في آداب المفید والمستفيد) لم يسبقه إليه احد ولم يصنف مثله لاحقاً احد..ففيه بيان تفصيلي حول قيمة

العلم وتكاليف التلامذة والأساتذة والمفتي والمستفتي، وآداب المناظرة والكتابة، وآداب التعليم والتعلم، ومراتب العلوم، ويكفي ان نذكر شهادة الفيلسوف الإسلامي الكبير صدر المتألهين الشيرازي في الكتاب حيث يقول في شرحه لأصول الكافي بعد ذكره لمورد في أدب المتعلم "فهذه ست وظائف من وظائف الطالب المتعلم، إنما اختصرناها تعويلاً على المذكور في كتب الأخلاق سيما كتاب زين الملة والدين الشهيد الثاني⁽⁹⁾، وهو أول من صنف كتاب في الأربعين حديثاً . كما لا تزال مصنفات الشهيدين وكتبهما تدرّس إلى اليوم في الحوزات الدينية كمقررات دراسية تعليمية أساسية (اللمعة الدمشقية وشرحها) ..

6) شعار: ان تعرف أكثر/ تغطية مستمرة/ تمكين الناس من المعرفة والتعلم والترفيه:

فمن ينظر إلى سجل الجولات والاسفار التي قاما بها إلى مدارس ومعاهد العالم الإسلامي، والحوارات والمناظرات والمنتديات والمناقشات التي قاما بها، والرحلات والأسفار العلمية التي تزيد عن 40 سفرة ورحلة، ومن اطلع على سعة العلوم التي

درساها، والتي تبدأ بالفقه والأصول والعلوم الدينية مروراً بالأدب واللغة العربية والبلاغة والشعر، ولا تنتهي بالطب والفلك والهندسة، ومن أحاط بحجم مصنفاتهما وإنتاجهما الفكري والفقهي الذي يزيد عن 200 كتاب ورسالة في مختلف المعارف والحقول، لا يسعه إلا الاعتراف بشغفهما الكبير في تحصيل وكسب المعرفة والاطلاع والتخصص، كي تأتي ثمار علميهما وعملهما خدمة للناس على أفضل وجه.

ولإنصاف الشهيدين وإعطائهما منزلتهما الصحيحة نقول، ان الكتاب والعلماء وأهل الإعلام في هذه الأيام يمتدكون كل الفرص لتحصيل و بث المعرفة وتوضع بأيديهم كل الإمكانيات المادية والثقافية ووسائل الاتصال والمواصلات، وهم يؤجرون مالياً على كل عمل يقومون به ساعة بساعة وعملًا بعمل، في حين ان الشهيدين بذلا 20 عاما من عمريهما في الأسفار والرحلات، وقدموا الغالي والنفيس لأجل العلم بدون ترجي إلا رضوان الله وخدمة وقضاء حوائج الناس في طلب المعرفة والآداب والإرشاد والفتوى. فما ابعث الفارق في القياس بين الفريقين، وهل نجد لهما من

نظير أو شبيه.

ب - مقارنة منهج الشهيدين بالقيم المهنية للمؤسسات الإعلامية :

ومن جهة ثانية لو جئنا لنطبق القواعد المهنية العشرة التي تتبناها كافة المؤسسات الإعلامية على سيرة حياة الشهيدين سنجد أنهما كانا الأعلى رتبة والأشد التزاما بالمعايير والقواعد المهنية الإعلامية مع الفارق في المجالات:

1- على صعيد مبادئ المصادقية والشمولية والموضوعية والبحث عن الحقيقة :

فقد انتقلا إلى الميدان مباشرة لاستقصاء حقائق وآراء المذاهب الأخرى وعلومها، واكتشافها من داخل منابعها، لا على سبيل الاستطلاع والاطلاع كما فعل أهل الاستشراق سابقاً، أو كما يفعل أهل الصحافة والإعلام راهناً، بل عبر سبيل الاحتكاك والتدرج والتلمذ على رجالها وشيوخها، على نحو التعلم والدراسة والتفقه والتعمق وتوسيع المدارك وذييل المطالب، وقد بذل الجهد وافنياً العمر في هذا السبيل، فقضى كل من الشهيدين على مدى 30 عاماً في الأسفار والرحلات، حتى نالا الإجازات في رواية الأخبار

والأحاديث الواردة في الصحاح والأسانيد والمجاميع الروائية السننية الكبرى، ولو كان القصد مجرد الاطلاع لكان يكفي اخذ لمحة وافيدة وموجزة في بضعة أشهر، ولما كانا تركا الأهل والديار لسنوات وعقود متنقلين من جبل عامل مرورا بدمشق وغزة في فلسطين وبلاد الكنانة في مصر وارض العراق في الحلة وبغداد و كربلاء واتجها إلى مكة والمدينة المنورة في الحجاز و صولا إلى القسطنطينية (مدينة اسطنبول في تركيا الآن) .. (

ولو حاولنا القياس على أحوال اليوم وما توفره من وسائل حديثة للنقل والاتصال، فلولا توفر هذه الوسائل، هل كان الصحافيون والإعلاميون والمثقفون والساسة والعلماء سيذهبون إلى أي مكان لتقصي حقيقة ما أو لتغطية ومتابعة قضية ما ويبدلوا كل هذا الجهد لأجلها ؟.

2- المصداقية والصدق في التفاعل مع

الحقائق والأحداث :

فقد وصل بهما التفاعل والتأثر مع هذه الحقائق والفنون والاجتهادات إلى أشده عندما ادخلا بعض الأساليب الخاصة في علم دراية الحديث وأنماط المزج والتبويب

الفقهي وطرق تقعيد الأحكام التي شهدت توسعا لدى فقهاء وعلماء أهل السنة خلال هذه الفترة بفعل عوامل تاريخية ومذهبية، ادخلها إلى مدارس وحوزات الشيعة، ومزجها في مصنفاتهم وكتبهم، ولم يمتدعنا عن تبني الكثير من الأحكام الموافقة لمشهور مذاهب أهل السنة والمخالفة لمشهور فقهاء الشيعة، وذلك عندما كنا يشعران أنها تعبر عن اجتهاديهما ومبانيهما الاستدلالية، كفتوى الوجوب التعييني لصلاة الجمعة التي لم يكن معمولاً بها عند فقهاء الشيعة في عصر الغيبة والذي قال به الشهيد الثاني.

لا بل ذهباً بعيداً في تقصي الحقائق لدرجة إتقان مذاهب الآخرين وإتقان أدلتهم والتصدي للإفتاء على ضوءها.. حيث قام الشهيد الأول بالرواية عن أربعين عالماً وشيخاً من علماء أهل السنة في المذاهب الأربعة، وقام الشهيد الثاني بتدريس الفقه الإسلامي على المذاهب الخمسة في المدرسة النورية في بعلبك حيث كان أكثر أهلها من أهل السنة وكانت تابعة للسلطنة العثمانية.

3- على صعيد الجرأة والحرص على كشف

الحقائق والإنصاف والتوازن:

حيث عمل الشهيدان على مجابهة التعصب

والتخلف والأهواء والمغريات والضغطات والأخذ بالوقائع والحقائق فهما السباقان إلى ذلك، حتى أفتى الشهيد الثاني بجواز الصلاة خلف امام من المذهب الآخر، وأكد على ذلك واعتبر ان ذلك أفضل قائلًا: " واما الصلاة خلف المخالف ففيها ثواب عظيم بل هي أفضل وأكثر ثوابا من جماعة المؤمنين" (10) وعندما سئل عن رأيه في تحديد معنى الناصبي المعادي لأهل البيت(ع) قال لسائله ان كل المسلمين يحبون ويعظمون أهل البيت (ع) حتى ولو لم يعترفوا أو يؤمنوا بالإمامة بالمعنى الذي نفهمه على مذهبنا، وتحدث بعبارات يفهم منها إيما نه العميق بقيم الإذ صاف والتوازن فقال لسائله: " وعلى هذا فالناصرى قليل الوجود فى الدنيا " (11) على الرغم من ضراوة الصراعات والحروب المذهبية آنذاك.

فى حين اننا نجد ان اغلب وسائل الإعلام اليوم تتحول إلى منابر للتحرير المذهبى وتعمل وفق أجندات سياسية وتخضع للضغط والإغراءات المالية والتيارات الحزبية والشعبية.

4— وعلى صعيد الاستقلالية والحياد

والتجرد :

فقد تميزا بالثبات والاستقامة امام القناعات التي توصلهم إليها الأدلة والبراهين، ولهذا لا نستغرب إذا ما وصل الأمر لحد تحمل التجريح من بعض الشيعة لاتهمها بالميل نحو الفقه الإسلامي السني تارة، ومخالفة المشهور تارة أخرى، كما روى السيد نعمة الله الجزائري عن أولاد الشهيد الثاني⁽¹²⁾، وفي المقابل تلقي التهم من قبل بعض العلماء والأمرء السنة بنشر التشيع ومخالفة مذهب السلطنة العثمانية...وعلى هذا السبيل استشهدا رحمة الله عليهما.

5- وعلى صعيد العمق والدقة والأصالة

والإبداع :

فمن مثلهما في ذلك وهما العلمان البارزان في عالم الفقه، حيث لا يزال فقهما برغم توالي القرون والأعصار من المقررات الثابتة للتدريس في الحوزات العلمية الدينية في العالم الشيعي قاطبة (اللمعة الدمشقية للشهيد الأول وشرح اللمعة الدمشقية للشهيد الثاني). وقد احصى الشيخ اقا بزرك الطهراني في كتابه الذريعة ما يقرب من تسعين شرحا وحاشية على كتاب اللمعة الدمشقية أبرزها شرح للشهيد الثاني.

ونكتفي هنا بذكر شهادة المحقق الكركي في عمق ودقة وأصالة وإبداع الشهيد الأول، قال فيه: " شيخنا الشيخ الامام شيخ الإسلام علامة المتقدمين، ورئيس المتأخرين، حلال المشكلات وكشاف المعضلات، صاحب التحقيقات الفائقة، والتوثيقات الرائعة، حبر العلماء وعلم الفقهاء، وشمس الملة والحق والدين، ابي عبد الله محمد بن مكي الملقب بالشهيد رفع الله درجاته في عليين، وحشره في زمرة الأئمة الطاهرين عليهم السلام ".

وهناك شهادات لا تقل قوة عن هذه الشهادة بحق الشهيد الثاني ذكرها كبار العلماء منها شهادة الحر العاملي بحق الشهيد الثاني قال فيه: " أمره في الفقه والعلم والفضل والزهد والعبادة والورع والتحقيق والتبخر وجلالة القدر وعظم الشأن، وجمع الكمالات والفضائل أشهر من ان يذكر " (13) .

ت - مقارنة بين منهج الشهيدين وميثاق الشرف الإعلامي العربي:

حيث جاء في المادة العاشرة من الميثاق " تعميق روح التسامح والتآخي ونبذ كل دعاوى التحيز والتعصب أيا كانت أشكاله " وهذه المادة هي ملخص لسيرة حياة الشهيدين، وتشهد على ذلك مناقشاتهما مع المخالفين

بكل محبة وتسامح، وقد تمكنا بفعل منهجهما التسامحي الداعي للتآخي والمحبة بتحويل الكثيرين نحوهما وذياع صيتهما في الآفاق الإسلامية قاطبة لا بل انهما تحملا من الأذى ما لا يتحمله إنسان، وضحيا بنفسيهما في هذا السبيل، وهذا هو سر استشهادهما على يد دعاة التعصب والجهل.

فالمعروف ان الشهيد الأول كان مرجعية إسلامية للسنة والشيعة، وكان لا يسمح في مجلده بطرح الخلافات والقضايا المذهبية، وكان يحضر درسه ومجلده علماء من أهل المذاهب الإسلامية كافة .

كما يشهد على روح المحبة والتآخي والتسامح ما ذكره الشيخ قطب الدين النهروالي في كتاب الرحلة المدنية بحق الشهيد الثاني " كان رجلاً في غاية الاستقامة، وكانت له فضيلة تامة، وحسن محاورة ولطف مكالمة " .

وجاء في المادة الثانية عشرة "مراعاة أصول الحوار وآدابه وخاصة الذي يعرض أو يذاع أو يبتث، من حيث حقوق ضيوف الحوار في شرح آرائهم والمتلقين في التعقيب، وعرض كافة الآراء وصولاً إلى بلورة رؤية متكاملة وشاملة وموضوعية لدى المتلقي العربي" .

و هذا الأمر كان ديدن الشهيدين، فمن مثلهما بآداب الحوار وهما الفقيهان الكبيران، وقد ذهبا إلى ديار ومدارس ومجالس الآخرين متنازلين عن كل مكانتهما العلمية لتلقي علوم ومعارف الآخرين مع بذل الجهود وتحمل المشقات وتقحم الصعاب، وصولاً إلى بلورة آراء مشتركة تجلت في تبيينهما مقولة " ضرورة تعرف الفقيه على آراء ومذاهب الآخرين كجزء من شروط ومؤهلات الفقاهة " وانتهى الأمر بهما إلى تدريس مذاهب الآخرين والإفتاء بها لأهلها، والرواية على مصادر المذاهب الأخرى... ونحيل ك شاهد على مراعاتهما لآداب المناظرة والحوار النص الذي نقلناه عن الحوار الذي جرى بين الشهيد الثاني والشيخ البكري منعاً للتكرار. **فهل نجد لهذا نظيراً اليوم ؟**

خلاصة وختام :

لا يستطيع الباحث في حياة هاذين الشهيدين الكبيرين إلا ان يشعر بتواضع الزاد امام ضخامة مؤنتهما وسعة افقهما وعلو شأنهما، وان يدهش من حركتيهما ونشاطهما العلمي والابداعي الفذ، بالرغم من الصعوبات والشدائد التي طبعت ظروف تلك الحقبة، وان يعترف انها سبقا عصرهما، وفاقا أهل هذا العصر أفقا وموضوعية

وموسوعية وشفافية ومصداقية واحتراما للرأي الآخر وانفتاحا على معارف الآخرين بكل جرأة وروح وأخلاق علمية، ولا نجانب الحقيقة إذا قلنا إنهما سبقا أكثر العلماء المسلمين في هذا الزمان في انفتاحهما وتسامحهما الفقهي والفكري رغم ان هذا العصر وضع أمام أيدي الجميع كل أبواب الاتصال والعلم والمعرفة في عصر مفتوح بالكامل على بعضه نتيجة الانفجار التكنولوجي والثورة الإعلامية والمعلوماتية الهائلة، ورغم ان هذا العصر مكن الجميع من التعرف على فقه الآخرين وفكرهم ووسع آفاق ومجالات التبادل والتواصل بدون تجشم مشاق السفر والترحال، إلا إننا نجد ان البعض لا يزال ينجس في وحول المذهبية والطائفية والتعصب ويسد كل الأبواب أمام التقارب والتقريب بين أبناء المذاهب الإسلامية..... بل يستخدم الأدوات والوسائل الإعلامية لإثارة الفتنة والعصبية بين أبناء الأمة الواحدة والدين الواحد والوطن الواحد.

فما أحوجنا في عالم إعلام اليوم إلى منهج هذين الشهيدين رحمهما الله.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

الهوامش:

- 2- تم اعتماد الشعارات ونقلها من المواقع الرسمية للمؤسسات الإعلامية على شبكة الانترنت فضلاً عن شهرتها.
- 3- منقولة عن موقع مجلس وزراء الاعلام العرب على الانترنت. www.amicat.org
- 4- الدر المنثور من المأثور وغير المأثور. علي بن محمد بن الحسن ابن الشهيد الثاني. تحقيق السيد احمد الحسيني. ج 2 ص 164-165.
- 5- عوالي اللآلي. ابن ابي جمهور. مطبعة سيد الشهداء من ص 380 إلى ص 457.
- 6- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية. جزء 3 ص 65.
- 7- مقالة بعنوان " المواطنة عند فقهاء الامامية". د. خضر نديها. سلسلة الدراسات الفكرية. منذى الفكر اللبناني. ص 92 اعتمد فيها على عدة تحقيقات سيما منها كتاب ستة فقهاء ابطال للمحقق الشيخ جعفر المهاجر.
- 8- مجلة رسالة الإسلام. العدد 1. السنة الأولى. ص 52.
- 9- تحقيق كتاب منية المرید في آداب المفید والمستفید للشيخ رضا المختاري مركز نشر مكتب الاعلام الإسلامي ص 56.
- 10- رسائل الشهيد الثاني. صادرة عن مركز الابحاث والدراسات الإسلامية. قم. ط 1. سنة 1421 هـ. ج 1. ص 585.
- 11- المصدر نفسه ، ص 592.
- 12- عوالي اللآلي. ابن أبي جمهور. جزء 1 ص 10-11
- 13- امل الآمل. الحر العاملي. جزء 1 ص 85.